الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة

ونظرية الحلف فى توسيع الدولة الإسلامية

للدكتور سعد زغلول عبد الحميد

تقدم إلى حفل التأبين الذى أقامته الجمعيـــة المصرية
للدراسات التاريخية فى ٢٥/٤/١٩٧٧

حضرات السادة :

هندما علمت بما أزمعته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية من إقامة هذا الحفل الذى يؤبن فيه الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة ، انتابتنى رغبة جامحة من أجل المشاركة فيه ، كنوع من الاعتراف بالجميل لأستاذ جليل وصديق كريم ، طالما غمرنى - إلى جانب فيض علمه -- بفيض من الأخوة والكرم والمودة .

ولكنه لما كانت النية الطيبة وحدها لا تكفى لأداء حقوق الأستاذ الراحل على تلميذه ، فانى استسمحكم عذراً إذا كنت لا استطيع أن أحسن الكلام فى مثل مناسبة التأبين هذه . فالموقف يتطلب شيئاً من ضبط النفس ، وكثيراً من صفاء الذهن ، وقدراً لا بأس به من حسن التعبير عن تلك المشاعر العميقة التى تربط بين الأستاذ والتلميذ ، وخاصة عندما تتوثق تلك المشاعر وترقى بتجربة روحية شبيهة بتجارب الصوفية التى توحد بين الشيخ والمريد — وفى مقامى هذا لا استطيع أن أدعى لنفسى أيا من هذه الخصال .

ومع أنني لا أقصد إلى أن تكون كلمتي في الندب والرثاء ، فان المناسبة تثير في نفسي ذكريات أساتذتنا الذين سبقوا الدكتور شعيرة إلى جوار ربهم في موكب الخالدين ، أتذكر : عبد الحميد العبادي ، ومحمد مصطفى زيادة ، وحسن ابراهيم حسن ، ومحمد مصطفى صفوت ، وجمال الدين الشيال ، وحسن عثمان ، وأحمد فكري ، غفر الله لهم وجزاهم عنا خير الجزاء . وهكذا يذكرني تأبين الدكتور شعيرة ببيتين من الشعر ، قالهما متمم بن نويرة في أخيه مالك الذي مات في حرب الردة ، وكان متمم ، بعد ذلك لا يرى في العراق قبراً الا يبكي مما كان يثير عجب الناس ، وفي ذلك يقول ، وكأنه في حوار مع بعض أصحابه .

أمن أجل قبر بالمَلا أنا نائحٌ ... على كل قبر أو على كل هالك

فقلت له : ان الشجا يبعث الشجا ... فدعني ، فهذا كله قبر مالك[1]

وإذا تركنا الرثاء جانبا وفيه مافيه من العبرة والموعظة ، فانني أود لو استطعت أن أجعل من مناسبة تأبين الدكتور شعيرة فرصة لتدوين فصل أو فقرات في في كتاب من ذلك النوع الذي عرفه علماء المسلمين في المغرب والأندلس باسم الفهرسة ، وعرفوا فيه بسير مشايخهم ، والعلوم التي برعوا فيها ، والكتب التي ألفوها ، وتلك التي أجازوهم بقراءتها عليهم . وهذا النوع من الكتب القديمة أشبه بما يسمى في أيامنا هذه بالكتب التذكارية التي تصنف في مثل مناسبتنا هذه ، والتي أرجوا أن يكون الدكتور شعيرة كتاب منها يليق بمقامه كواحد من أبرز مؤرخينا المحدثين . وزملاء الدكتور شعيرة وتلاميذه في مصر وفي البلاد العربية كفيلون بإنجاز هذا العمل .

وأرجو ألا يفهم من أنني أعددت بحثا عن الدكتورة شعيرة : الأستاذ

---

(١) نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ١٧٩

المعلم المؤرخ الباحث . إنما هى خطوات من وحى ساعتها ، لا بأس أن أعرضها فى تلك العجالة ، وأرجو أن تكون محاولة أولية لما آمل أن يكون دراسة لسيرة الدكتور شعيرة ، ومنهجه فى دراسة التأريخ الإسلامى ، ونظرياته فى حضارة الإسلام ، وتطور المجتمع الإسلامى إلى الشكل الذى صار عليه الآن . وأظن ان بعض ما أذكره من كل ذلك لم تتح له فرصة النشر ، فقد كان ذلك مما يمليه الأستاذ الدكتور شعيرة على تلاميذه فى صفوف الدرس ، أو يحدث به فى مجالس العلم أو يحاضر به فى الندوات العامة — وتلك كانت المجالات المحببة إلى نفسه حيث يعرض آراءه وأفكاره للمناقشة .

ما بين البساطة والشموخ :

والحقيقة أن الدكتور شعيرة الإنسان كان طرازاً فريداً من الرجال ولا أريد أن أقول عجيباً ، وقد كان كذلك . وهنا أتذكر المثل المأثور الذى يقول إن المظاهر خداعة . وأول خدعات النظر فى الدكتور شعيرة انه كان يبدو لنا قصير القامة ضئيل الحجم ، وهو فى الحقيقة قمة شامخة ، ليس معنويا فقط بل وجسمانيا كذلك . فهو من أدومة عمـــلاقة الحجم ، وهذا ما كان يذكره لنا عن آل بيته الشعيريين فى ريفهم ، وهو ما ظهر فعلا فى ولده : طاهر وعزيز وعبد الهادى وصغيرهم شريف — وكم كان الدكتور شعيرة سعيداً بذلك .

هذا فيما يتعلق بالخداع المادى أما فيما يتعلق بالخداع المعنوى ، فقد كان الذين يتعاملون مع الدكتور شعيرة لأول وهلة قبل أن يخبروا أعماقه — وهى التجربة التى مررنا بها نحن تلاميذه القدامى — يظنون أن الأستاذ من ذلك النوع من الرجال «الطيبين» ، حسب مصطلحنا الدارج ، أى البسطاء المتساهلين ولقد كان فعلا بسيطا متواضعاً ؛ يعامل تلاميذه معاملة الند للند وكأنهم أخوته الصغار أو أبناؤه الكبار ، ويحافظ على كرامة الإنسان مهما كان طبقته

الاجتماعية ، وهذا كان دأبه فى التعامل مع كل المحيطين به من العاملين فى الكلية وفى البيت وفى الشارع ، سواء كان المكان له أو لغيره ، ومما يألفه أو مما يتردد عليه لأول مرة . وهكذا كان التواضع والبساطة هالتين نورانيتين تحيطان به أينما سار وحيثما حل — وكأنه ولى من الأولياء أو قديس من القديسين .

هذا التواضع وتلك البساطة — اللتان قد توحيان بأن الدكتور شعيرة كان رجل التساهل الذى يفضل العافية ، بمعنى أنه كان يؤثر السلامة ويفضل مرور الصعاب دون مواجهتها — كانتا تخفيان ، فى حقيقة الأمر ، روح عناد صلبة صامدة وقت الضرورة ، تتكسر على صخورها أقوى الإرادات عناداً ، ليس من جانب صغار الناس فقط ، بل من جانب أصحاب المراكز المرموقة أيضاً ، وهذا ما جريناه فى أكثر من مناسبة ، فى مصر وفى خارج مصر أيضاً . ولقد ظهرت عزيمة الدكتور شعيرة وعناده الذى لا حدود له فيما كان يقوم به من مجهود جبار ، وهو يعانى من ذلك الفالج الذى ألم به وهو يقوم برسالته فى الجزائر . وخصلة الصلابة فيما يران المـــرء حقا عن طريق المعاناة الشخصية وليس عن طريق إملاء ما يراه الآخرون حقيقة .

تواضع العالم المحقق والأستاذ المعلم :

وسمة التواضع التى تحلى بها الدكتور شعيرة فى حياته اليومية ظهرت كألمع ما يكون فى نشاطه العلمى كأستاذ معلم وباحث محقق . وفى مجال العلم لانستطيع أن نصف بالتواضع إلا العالم حقيقة . وفى هذا المقام أتذكر ما يضرب به الجاحظ المثل فى تواضع العلماء ، وهى مقالة أفلاطون التى يقول فيها : « لولا علمى أن قولى لا أعلم تثبيتاً لأنى أعلم لقلت أنى لا أعلم » .

والحقيقة أن الدكتور شعيرة كان من خير المؤهلين من علمائنا المحدثين لدراسة التاريخ الإسلامى . فمن حيث وسائل البحث كان مالكا لزمام اللغة

العربية ، عارفا بدقائق فقهها ، ملما بشوارد ادبها ، فكان خير من يقرأ النصوص القديمة ويفهمها . وهو فى أثناء دراسته فى فرنسا سلح نفسه بكل من اللغتين اللاتينية واليونانية ، مما سمح له بمعالجة موضوع الصراع بين العرب والبيزنطيين[1] وهو من الموضعات الصعبة التى لم يتصد لها إلا كبار الباحثين الأوربيين من أمثال فازيلييف وشارل ديل . ولقد كان من الغريب حقاً أن يدخل العالم الشاب الدكتور شعيرة إلينا نحن طلبته المبتدئين ليعرض علينا موضوع درسه وكأننا علماء صغار . صحيح إننا كنا أقل كثيراً منه علماً بطبيعة الحال ، ولكنه كان يدخل فى روعنا أن البون ليس شاسعاً بيننا وبينه ، أو هكذا كان يأمل أن ينتهى بنا شوط الدراسة معه .

وبهذه الطريقة التربوية الفذه كان يبدأ درسه بالأفكار العامة لكى ينتهى الأمر بدراسة النصوص دراسة تفصيلية — لا أريد أن أقول — مرهقة ، فقد كانت تظهر كذلك لكثير من جماعة الشباب من الدارسين الذين لم يكونوا قد اعتادوا على ذلك النوع من البحث العميق الذى تعلمه الدكتور شعيرة فى فرنسا ، حيث كان العلماء يعتزون بدرس النصوص التاريخية الذى لم يكن معمولا به فى غير الجامعات الفرنسية وقتئذ . هذا ما عرفناه هناك من الأستاذ لويس هالفن الذى كان من قبل أستاذاً للدكتور شعيرة . وهكذا كانت الكلمة الواحدة تقلب بين يدى الدكتور شعيرة على وجوهها المختلفة ، ويظهر لها أكثر من مبنى ومعنى ، بين إعجاب البعض من تلاميذه المبهورين بعلمه ، ومعاناة البعض فى المتابعة اللاهثة ، وعدم مبالاة جماعة آخرين ممن لم يدركوا قيمة العملية العلمية الرائعة إلا بعد أن عركتهم التجارب ، وأنضجتهم السنون .

تلك كانت أبجديات البحث التى تعلمناها على الدكتور شعيرة ونحن طلبة ،

---

(١) الصراع بين العرب والبيزنطيين :
الفتح وترتيب الحدود فى القرنين السابع والثامن الميلاديين (بالفرنسية) ، الاسكندريه ١٩٤٧

وواصلنا تعلمها فى كنفه ونحن زملاء صغار له ، وما زلنا نتعلمها فى أبحاثه وكتبه ـ وهو ما نسجله له بكل إعزاز وتقدير مع اعتراف بالفضل والجميل .

وتحضرنى الآن بعض مصطلحات التاريخ الإسلامى التى كان يعانى كثيراً فى محاولة شرحها فى أصولها الأولى ، ومنها من المصطلحات المالية : الجزية والخراج والأرض العشرية وكيف يمكن أن يحدث اللبس بينها ، وكذلك ضريبة الرؤس وكيف يمكن أن تكون من الرقيق أو من الماشية ، وكلمة « الأبناء » التى كثيراً ما تعنى أبناء الجند ممن دخلوا فى سلك العسكرية أو لم يدخلوا فيه . وكل ذلك من المصطلحات التى تحتاج إلى الكثير من التأمل والبحث والتمحيص تبعاً لمواقعها من النصوص .

ومع هذه الدقة البالغة فى البحث لم يكن الدكتور شعيرة من ذلك النوع من الأساتذة المتزمتين الذين لا يغفرون الهنات لتلاميذهم . فقد كان سمحاً كريماً واسع الصدر ، يتلمس المحاسن فيما يقدم إليه من البحوث أو أوراق الامتحانات ، ويعفو عن الهفوات . وفى عديد من الأحيان كان يتوقف عن الحكم إلى أن يناقش صاحب البحث أو الورقة . وهكذا كان كثيراً ما يلاحق تلاميذه فى فترة الامتحانات ، يسأل هذا عن عبارة وردت فى ورقته أو رأى أدلى به دون أن يوثقه أو يتثبت منه ـ وذلك فى وقت كانت ظروف الامتحانات تسمح بذلك . اسمحوا لى أن أتذكر الآن تلك المقالة التى قيلت فى عمر بن الخطاب وهو يسعى وراء إبل الصدقة . لقد قيل فى الفاروق : « هذا والله القوى الأمين[1] » .

من البحث التفصيلى إلى النظريات العامة : نظريه الحلف :

ولم يكن من الغريب على أستاذ باحث مثل الدكتور شعيرة ، بما تسلح به

(١) الطبرى — ط . المعارف . ج ٤ ، ص ٢٠١

من أدوات البحث ، وما يتحلى به من الذكاء ، والفطنة ، والقدرة على معاناة التحقيق ، والصبر على عناء التنقيب ، أن يصل فى نهاية الأمر إلى نظريات كلية عامة ، مبنية على الدراسة التفصيلية المتعمقة ، وفى نظرنا أن من أهم ما وصل إليه فى البحث ، نظرية تفسير التوسع الإقليمى للدولة العربية ، وهى التى سماها بنظرية الحلف أو « الممالك الحليفة » ، وهو عنوان البحث الذى نشره بمجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية (فاروق الأول) سنة ١٩٤٨ (١) .

والفكرة الرئيسية فى هذه النظرية تقوم على دعامتين : أولاهما أن التوسع العربى الإسلامى كان يسير بطريقة الإلحاح على العدو بالحرب المستمرة سنوياً ، المعروفة باسم الصوائف والشواتى ، وعلى أساسها يمكن تفسير اختلاف الحوليات التاريخية حول توقيت كثير من الوقائع الهامة والفتوحات الكبيرة . وثانيتهما وأخطرهما فى نظر الدكتور شعيرة : أن العرب استخدموا السياسة إلى جانب الحرب فعملوا على اجتذاب زعماء البلاد المفتوحة إلى جانبهم عن طريق العهد والحلف بعد الدخول فى الإسلام ، فى سبيل معاونتهم فى فتح ما وراء بلادهم من البلاد وإدخالها فى حظيرة دولة العرب والإسلام .

والحقيقة أن الدكتور شعيرة طبق نظريته هذه على بلاد الترك فى المشرق ، كنتيجة لما قام به من الدراسة فى موضوع « تاريخ المغول » وهى المادة التى كان يدرسنا إياها ونحن نحضر لشهادة الليسانس فى العام الدراسى ٤٤ — ١٩٤٥ وما زلت أحتفظ بفخر واعتزاز بمذكرة هذه المادة حيث أجد تاريخ كل محاضرة . ففى يوم السبت ١٨/١١/١٩٤٤ سجلت أولى أمالى الدكتور شعيرة فى تلك المادة ، وفيها يقول : « ومنذ نشأ هذا الجوار (جوار العرب والترك) بحكم الفتح ، وجدت صلة بين المسلمين والترك . وأراد العرب أن يحموا

---

(١) الممالك الحليفة ، ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم ، المجلد ٤ سنة ١٩٤٨ ، ص ٣٩ — ٨٠

حدودهم ضد هؤلاء الترك فى الشرق والشمال ، فاتخذوا لذلك سبيلين : الأول ، طريق الغزو وهو طريق لجأ إليه المسلمون لحماية حدودهم فى كل الجهات . وهذا النظام عبارة عن وجود جيش فى منطقة الحدود يغزو هذه الأرض المجاورة للإسلام غزواً دورياً سنوياً ، الغرض منه إيقاع الرهبة فى الجيران حتى لا يجتاحوا حدود الإسلام . . وهـذه الطريقة جرت المسلمين إلى غزو تركستان أيام بنى أمية ، فأصبح جزء من الشعب التركى ، بين نهرى سيحون وجيحون وبحر آرال ، خاضعاً لسلطان المسلمين . والنقطة الثانية ، هى : انتشار الإسلام بين الترك . . . وأخذ المسلمون بعد قيام هذا الاتصال يستخدمون الأتراك فى جيوشهم ، وظل هذا الاستخدام ينمو إلى أن جاء العصر العباسى ، وكانت خلافة المعتصم فأصبح الترك يؤلفون أغلبية الجيش الإسلامى ... » .

وفى ختام بحث « المسالك الحليفة » يلخص الدكتور شعيرة نظريته ، فيقول : « أردنا أن نبين ناحية عن سياسة العرب فى حماية حدودهم ، وهى نظام الحلف الذى يفرضونه على جيرانهم ويؤيدونه بالغزو السنوى استيفاء لطاعة الأحلاف واستظهاراً بالقوة أمام من وراء الأحلاف من الأعداء[1] » .

والحقيقة أنه إذا كانت فتوح المشرق البعيد وعلاقات الترك بالإسلام هى التى أوحت الدكتور شعيرة ببلوره نظرية الحلف هذه ، كدعامة أساسية للتوسع الإسلامى فى المشرق ، فإن من الصحيح أيضاً أن جرثومة هذه النظرية تبينت له أثناء دراسته لموضوع الصراع بين العرب والبيزنطيين ، الذى أعده للحصول على دكتوراه الدولة فى باريز . فمجرد استقرار العرب فى بلاد الشام ، ومنذ سنة ١٧ هـ ، وجدوا أنه من حسن السياسة معاهدة « الجراجمة » وبذلك اطمأنوا إلى هدوء سكان الجبال الأشداء هؤلاء ، بل وضمنوا معاونتهم لهم عن طريق إنذارهم بما كان يمكن أن يتهددهم من جانب الروم[2] .

---

(١) المسالك الحليفة ، ص ٨٠

(٢) انظر الصراع بين العرب والبيزنطيين ، ص ٦٠

وعندما وصل العرب إلى برقة وطرابلس بعد فتح مصر ، اكتفوا بتأكيد سلطانهم السياسى والعسكرى على برقة التى كانت تابعة إدارياً لمصر منذ القديم ، وتركوا لأهلها نوعاً من الاستقلال الذاتى فيما يتعلق بالسياسة المالية[1] . أما عن ولاية طرابلس فقد اكتفوا بغزو مدينتها العاصمة ، واكتفوا بالعهد مع قبائل البربر فى المنطقة ، مما أدى إلى هدم نظرية البيزنطيين الإدارية والأمنية[2] . هذا ، ثم إن نظرية الحلف هذه بدأت تتبلور فى المغرب بشكل نهائى منذ تحالف أبو المهاجر — وإلى أفريقية والمغرب — مع البربر هناك[3] .

وهكذا يمكن لنا أن نقول أن حلقات نظرية الحلف تكاملت فى المغرب وفى المشرق جميعاً بكل من بحثى الصراع بين العرب والبيزنطيين ثم الملك الخليفة فى بلاد ما وراء النهر . هذا ، وإن كنا نأسف لأن الدكتور شعيرة لم يستغل هذه النظرية فى كتاب عام يشرح فيه تاريخ دولة الإسلام ، على الأقل إلى أن « أصبح الترك حزباً قوياً كالحزب الفارسى ، أو العربى ، يستطيع أن يؤثر فى حياة الدولة السياسية ، ولكنه كان لابد أن يتأثر به الأحزاب فى حياتها السياسية من عوامل القـــوة والضعف . . . » ، كما يقول فى أماليه فى ١٨/١١/١٩٤٤ — فلا شك أن مثل هذا الضعف كان يلقى بأضواء جديدة على عهد الدويلات (أو السلالات) المستقلة فى العصر العباسى الثانى ، ليس فى المشرق فقط ، حيث ظهرت أحزاب الفرس والترك ثم الديلم وترك السلاجقة قبل قبائل المغول ، بل وفى المغرب والأندلس أيضاً حيث قامت أحزاب البربر ، من الصنهاجيين والملثمين والموحدين .

---

(١) انظر الصراع بين العرب والبيزنطيين ، ص ٦٣

(٢) نفس المرجع ، ص ٦٣

(٣) نفس المرجع ، ص ٦٣

نظرية تقسيم العالم الإسلامى إلى عالمين : شرقى تركى فارسى ، وغربى عربى :

ولا أشك فى أنه كان من نتائج تلك الدراسة ما شرح به الدكتور شعيرة الظروف التاريخية التى أدت إلى انقسام العالم الإسلامى إلى عالمين ، كما هو الحال اليوم : أحدهما فارسى تركى فى الجناح الشرقى ، والآخر عربى صميم فى الجناح الغربى . وهو الشرح الذى استمعت إليه فى محاضرة عامة ألقاها فى النادى المصرى بمدينة بنغازى فى سنة ١٩٥٩ — إذا لم تخنى الذاكرة .

وملخص تلك النظرية هو الآتى : منذ بداية الفتوح وطوال العصر الأموى كان العرب يخرجون من جزيرتهم ، ومن العراق والشام ، لكى يسيحوا فى مشارق دولة الخلافة وفى مغاربها : ما بين خراسان والمغرب الأقصى . ولكنه منذ نجاح الدعاية العباسية فى خرسان ، بدأت موجات الهجرة تغير مسارها فى إتجاه من الشرق إلى الغرب ، وذلك تبعاً لمسيرة الجند العباسى الذى كان فى معظمه خراسانيا . ومع مرور الوقت استخدمت الخلافة الترك الذين ألفوا معظم الجيش الإسلامى ثم بدأت مرحلة جديدة عند ما أخذت قبائل تركية تدخل فى الإسلام وتهاجر من وسط آسيا والتركستان مندفعة نحو الغرب ، وبلغ ذلك الذروة بهجرة قبائل ترك الأغز السلجوقية . وبهذا الإيقاع المستمر كان طريق المشرق ينغلق شيئاً فشيئاً أمام العرب الذين لم يجدوا لهم مجالا للهجرة — بعد خروجهم من جزيرتهم — إلا إتجاه الغرب ، وكانت آخر هجراتهم الكبيرة هى الهجرة الهلالية .

وفى ظل هذه العملية التاريخية المعتدة انحسر المدّ العربى عن المشرق الذى تهيأت له ظروف إحياء لغته القومية الفارسية ، وأصبح خط التقسيم اللغوى — بين العربية والفارسية — يمتد من شط العرب مصعدا نحو الشمال على

طول نهر دجلة ، وذلك إبتداء من القرن السادس الهجرى (١٢ م) . وتأكد خط التقسيم هذا بشكل نهائى بعد الغزوة المغولية .

أما عن نظام دولة الخلافة منذ عهد الدويلات المستقلة فى العصر العباسى الثانى فقد أصبح شبيهاً بما يعرف حالياً بالنظام الفدرالى أو الكونفدرالى ، بمعنى أن أمراء الدول الناشئة وملوكها كانوا يتمتعون بالاستقلال الذاتى ، وترتبطهم بالخلافة — من الناحية القانونية — علاقة الولاء إلى جانب أداء شىء من المال إلى خزانة بغداد ، وان كان بطريقة غير منتظمة .

تلك كانت أهم نظريات الدكتور شعيرة فى كيفية التوسع العربى وتكوين دوله الخلافة الإسلامية : الإلحاح بالحرب الدورية من أجل إرهاب العدو ، وسياسة الحلف من أجل المعاونة فى فتح الاقاليم المجاورة ، ثم حركة المد التركى من أواسط آسيا التى أدت إلى إنحسار العروبة عن المشرق الإسلامى .

أما عن آخر مؤلفات الدكتور شعيرة فى تاريخ دولة المرابطين ، الذى بدأه كمحاضرات ألقيت على طلبة جامعة الجزائر ، فقد طبق فيه بوضوح ومقدرة نظريات ابن خلدون فى اضمحلال الدول وقيامها ، من نظرية التجدد ونظرية المطاولة ، كما قد فيه صفات رائعة عن الحياة فى الصحراء المغربيـــة فى القرن الخامس الهجرى (١١ م) .

الخاتمة :

تلك كانت بعض خطوات عابرة عن بعض ما قدمه أستاذنا الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة من أعمال فى مجال التاريخ ، وما خرج به من نظريات فى تفسير مسار تاريخ دولة الخلافة ، مما سجله فى بعض أبحاثه ، ومما حاضر به فى ندواته ، أو مما كان يحدث به تلاميذه أو يمليه عليهم .

ونحن إذا كنا نحتفل بتأبين الدكتور شعيرة اليوم ، فالأمل أن يكون

حديثنا فيما قدمه للتاريخ الإسلامى من خدمات حافزاً لتلاميذه على الاستفادة من أعماله العلمية ونظرياته التاريخية فى دفع عجلة التاريخ الإسلامى ، فى مصر وفى البلاد العربية ، نحو مستقبل أفضل ، فذلك هو ما يخلد ذكرى الأستاذ ويحقق استمرارية ما بدأه من أعمال ـ وذلك هو الأساس الصلب لتقدم العلوم .

هذا ، وأرجو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن تأخذ باقتراح عمل كتاب تذكارى باسم الدكتور شعيرة وتعمل على تنفيذه . ومن جانبى أرجو أن يتحقق أملى فى كتابة فهرسة لأساتذتى ، فيكون مساهمة فى إحياء تقليد عريق عرفه كتابنا القدامى ـ ولا أدرى ان كنت قد أضمرت ذلك فى قراة نفسى قبل مناسبة تأبين الدكتور شعيرة هذه ! وإلا فلماذا حافظت على مذكرات أساتذتى التى كتبتها من أماليهم منذ أكثر من ثلاثين سنة ؟ ! اعتقد أن التعريف بتلك الأمالى ومنها الكثير الذى لم ير النور بعد ، سيكون مساهمة جيدة فى التأريخ لدراسة التاريخ فى جامعاتنا الآن ، وفى جامعة الاسكندرية على وجه الخصوص، إلى جانب أنه يمكن أن يكون نواة طيبة لفهرسة جيدة لأساتذتى وللدكتور شعيرة بصفة خاصة ـ وعلى الله التوفيق ؟